

دار الطباعة والنشر الإسلامية
المركز الإسلامي للدراسات والبحوث

دكتور
أحمد عبد الحميد غراب

نحو جيل مسلم

الإسلام والعلم

الإســلام والعلم

مقارنة بين مفهوم العلم الحديث

ومفهوم العلم فى الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد وآله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعـــد :

فقد قام الإسلام منذ بزغ فجره على احترام العقل والدعوة إلى النظر والتأمل فى الأنفس وفى الآفاق . وفى ملكوت السموات والأرض ، ﴿ قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوٰاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (١٠١ يونس) ، ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ ﴾ (الأنعام ١١) . ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوٰاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ وإلى جوار ذلك الإشادة بالعلم

والعلماء : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

يقول : أستاذنا الشهيد حسن البنا فى رسالة دعوتنا فى طور جديد ...

« الإسلام الحنيف ألزم العقل البشرى لوناً من ألوان التفكير . هو أكملها وأتمها وأشملها وأكثرها انطباقاً على واقع الحياة ، ومنطق الكون ، وأعظمها نفعاً لبنى الإنسان . ذلك هو الجمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل ، فنحن نعيش فى عالمين فعلاً لا فى عالم واحد ، ونحن عاجزون عن تفسير كثير من ظواهر الكون فعلاً . عاجزون عن إدراك كل الحقائق الأولية التى تحيط بنا ، ونحن فى إدراكنا ننتقل من مجهول إلى مجهول . حتى ينتهى بنا العجز إلى الإقرار بعظمة الله ، ونحن نشعر فى أعماق قلوبنا بعاطفة الإيمان مشبوبة ، لأن الإيمان من فطرة نفوسنا ، وهو لها ضرورة من ضرورات حياتها كالغذاء والهواء والماء للأجسام سواء بسواء ، ونحن بعد ذلك نؤمن أن هذا المجتمع الإنسانى

لن يصلحه إلا اعتقاد روحى يبعث فى النفوس مراقبة الله والاعتزاز بمعرفته ، ومن هنا كان لزاماً على[3] الناس أن يعودوا إلى الإيمان بالله وبالنبوات وبالروح وبالحياة الآخرة وبالجزاء فيها على الأعمال ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرَاً يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرَّاً يَرَهْ ﴾ كل هذا فى الوقت الذى يجب عليهم فيه أن يطلقوا لعقولهم العنان لتعلم وتعرف وتخترع وتكتشف . وتسخر هذه المادة الصماء وتنتفع بما فى الوجود من خيرات ومبرات ﴿ وَقُلْ رَبِّى زِدْنِى عِلْمَاً ﴾ وإلى هذا اللون من التفكير الذى يجمع بين العقليتين الغيبية والعلمية ندعو الناس لقد عاش الغرب أخريات أيامه مادى النزعة لا يشعر بغير المادة ولا يعترف بغير المادة ولا يحس بوجود غيرها حتى ماتت فى نفوس أبنائه عواطف الرحمة والإنسانية ﴾ .

والإسلام يرفض التسليم بما ذهب إليه الفلاسفة من القول بتقسيم البشرية إلى أطوار ثلاثة البدائى ، والدينى ، والعلمى ، الذى انتهت إليه وهوغاية

المطاف ، كما يرفض العداء التقليدى بين الدين والعلم . وهو عداء نشأ فى غير بلاد الإسلام بين الكنيسة والعلماء . لقد حجرت الكنيسة على الأفكار وعارضت العلم . وتبنت نظريات علمية قديمة أضفت عليها القداسة والعصمة ، وحاربت هناك كل من انتهى بحثه إلى مخالفتها ورمته بالزندقة والإلحاد .. ثم حاول المقلدون فى الشرق الإسلامى أن يلصقوها بالإسلام » .

يقول الأستاذ الشهيد سيد قطب رداً على هؤلاء :

« من أين جاء هؤلاء الناس بهذه النظريات الغربية على طبيعة الإسلام ؟ وعلى تاريخ الإسلام .. لقد استوردوها — هى الأخرى — كما يستوردون كل شىء . من خلف السهول ومن وراء البحار ..

ذلك أن قصة العزلة بين الدين والدنيا لم تنبت فى العالم الإسلامى ولم يعرفها الإسلام ... وقصة تخدير الدين للمشاعر لم تكن يوماً وليدة هذا الدين . ولم

تعرفها طبيعته .. ولكنهم يتلقفونها تلقفاً كالببغاء ويحاكونها محاكاة كالقردة ، ولا يحاولون أن يفتشوا عن أصلها ونشأتها ، ولا أن يعرفوا مصدرها ومواردها » .

إن موقف الإسلام من العلم والتخطيط والتنظيم واضح .. فقد أشار القرآن إلى :

١ ــ التخطيــط :

استخدام التخطيط فى السياسة الاقتصادية للدولة ، كما هو واضح من قصة سيدنا يوسف عليه السلام ، وكيف أنقذ أمة من الجوع والهلاك فى وقت الجدب والشدة بما ادخره لها ، وليس التخطيط والتدبير منافياً لعقيدة الإيمان كما يتوهم البعض « اعقلها وتوكل » .

٢ ــ الإحصــاء :

فقد استخدم الرسول ﷺ الإحصاء . فقد روى

البخارى أنه ﷺ بعد الهجرة أمر بعض أصحابه أن يحصوا له عدد المسلمين بالمدينة الذين يلفظون بالإسلام فكان عددهم خمسمائة وألفاً .

٣ ــ الانتفاع بالخبرات :

تشجيع أخذ النافع من الغير فى الأمور التى لا تتعلق بالعقيدة أو التشريع أو القيم والآداب ، فقد أخذ ﷺ برأى سلمان الفارسى رضى الله عنه فى حفر الخندق حول المدينة مع أنه من أساليب الفرس ودائماً « الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها » .

لقد حمل المسلمون لواء الحضارة قروناً عديدة .. فأفكار الحسن بن الهيثم فى علم ــ البصريات ــ عاشت فى أوربا إلى زمن قريب منا ، وأبحاث ــ الطوسى ــ فى الرياضيات . بقيت زمناً طويلاً يتناولها علماء أوربا ، وكتاب ابن سينا ــ القانون ..

بقى المرجع الأساسى لكليات الطب فى أوربا حتى القرن السابع عشر .

يقول الدكتور النشار :

« إن المسلمين قد وضعوا المنهج العلمى بجميع عناصره ، وكانت الأندلس هى المعبر الذى انتقل منهجهم خلاله من العالم الإسلامى إلى أوربا » .

ويقول الدكتور يوسف القرضاوى :

« لا مجال فى الإسلام لدعوى التعارض أو العداوة بين الدين والعلم ، فالدين فى الإسلام علم ، والعلم فيه دين ، كما تشهد بذلك أصول الإسلام وتاريخه جميعاً ، وهذه حقيقة شهدها وشهد بها كثير من الباحثين والمؤرخين الغربيين » .

يقول العلامة : هورتن

« فى الإسلام وحده نجد اتحاد الدين والعلم ، فهو الدين الوحيد الذى يوحد بينهما ، فنجد فيه الدين

ماثلاً متمكناً فى دائرة العلم ، ونرى وجهة الفلسفة ووجهة العلم متعانقتين فهما واحدة لا اثنتان » .

ويقول : إيتان دينيه ..

« إن العقيدة الإسلامية لا تقف عقبة فى سبيل الفكر ، فقد يكون المرء صحيح الإسلام وفى الوقت نفسه حر التفكير . ولا تقتضى حرية الفكر أن يكون المرء منكراً لله . لقد رفع محمد ﷺ قدر العلم إلى أعظم الدرجات ، وجعله من أول واجبات المسلم ، ويقول : « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء » .

والمركز الإسلامى للدراسات والبحوث حين يقدم هذه الرسالة مفهوم العلم فى الإسلام إنما يساهم فى تبديد وتوضيح ما يتوهمه البعض من أن هناك عزلة بين الدين والحياة أو بين الدين والعلم .. فكل هذه التصورات لا وجود لها فى الإسلام بل هى غريبة ومستوردة لها ظروفها التاريخية فى الغرب ، وطبيعة

الإسلام وظروفه وتاريخه لا دخل لها فى شىء من هذا وترفضها كلية .

والله نسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى ، وأن يهدينا سواء السبيل .

المركز الإسلامى للدراسات والبحوث

محمد عبد الله الخطيب

مفهوم العلم فى الإسلام
يختلف عن مفهوم العلم فى الغرب

فهذا العلم الأخير علم مادى فى موضوعه وفى منهجه وفى هدفه .

أما فى موضوعه فهو يقتصر على دراسة الظواهر المادية التى تدرك أو يمكن أن تدرك بالحس .

وأما فى منهجه فهو يستخدم فى دراسة هذه الظواهر المنهج المسمى بالمنهج التجريبى The Enpirical Method وهذا المنهج يقوم على وسيلتين أساسيتين وهما . الملاحظة والتجربة . وهما وسيلتان تعتمدان أساساً على الحس فى جمع المعلومات عن الظواهر المادية . صحيح أن العقل يتدخل ولا سيما بعد مرحلة جمع المعلومات ، ويقوم بتصنيف هذه المعلومات وتفسيرها . ولكن تدخله

لا يتعدى نطاق هذه المعلومات التى جمعت عن طريق الحس .

وأما فى هدفه فهو كذلك هدف مادى ، وهو استخدام كل ما تكتشفه العلوم عن طريق هذا المنهج فى تقدم الإنسان تقدماً مادياً فى جوهره . أى تقدماً فى مستوى الحياة المادية بمختلف جوانبها ، بغض النظر عما إذا كان هذا التقدم المادى مصحوباً أم غير مصحوب بتقدم عقائدى وأخلاقى وفكرى فى نفس الوقت ، أى تقدماً إنسانياً متكاملاً ، كما ينبغى أن يكون تقدم الإنسان .

وحتى هذا التقدم المادى لا تستفيد منه الإنسانية كلها على السواء ، فالواقع أن الشعوب الغربية هى التى تحظى منه بنصيب الأسد ، وذلك بحكم عنصريتها من ناحية ، وتحكمها فى توجيه العلم والتكنولوجيا من ناحية أخرى ، ولذلك نراها تنعم بمعظم مظاهر هذا التقدم من ثروة وقوة ، بينما تترك للشعوب الأخرى الفتات الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع ، وهو ذلك « الفتات »

العلمى والتكنولوجى الذى يقتصر على مظاهر الترف والانحلال الخلقى والإقبال على منتجات الغرب الاستهلاكية دون المقدرة على إنتاج مثلها .

وقد أدى هذا المفهوم المادى للعلم الحديث إلى نتائج بعيدة المدى فى حياة الإنسانية المعاصرة وبعض هذه النتائج يمكن أن توصف بأنها نتائج طيبة ونافعة ، ولكن الكثير منها لا يمكن أن توصف إلا بأنها نتائج وخيمة وضارة .

فمن النتائج الطيبة التى لا يمكن إنكارها تلك الإنجازات الباهرة التى حققها العلم الحديث ، والتى أدت إلى تقدم مادى واضح فى ميادين كثيرة ، ولا سيما فى ميادين الصناعة والاقتصاد والطب والعلوم التطبيقية والتكنولوجيا بوجه عام .

ولكن إلى جانب هذه النتائج الطيبة نتائج أخرى خبيثة ، ترتبت ترتباً حتمياً على النظرة المادية العنصرية الضيقة للعلم الحديث ومن أهم هذه النتائج ما يلى :

١ ــ أن العلم الحديث يغفل حقيقة هامة وهى أن الإنسان ليس مادة فحسب ، وإنما هو مادة وروح ، وليس جسماً فقط ، وإنما هو جسم وعقل وضمير ، وقد ترتب على هذا أنه بينما يتقدم الإنسان تقدماً مادياً يتأخر فى الوقت نفسه فى القيم الروحية والأخلاقية . فمن أجل التسابق والسبق فى الرخاء المادى يضحى الإنسان فى كثير من الأحيان بالأخلاق الكريمة والمثل العليا ، وبالصدق والحق والشرف والعدالة ، ويضعف روحه من أجل متعة جسده ، ويقتل ضميره من أجل أن يشبع بطنه وفرجه .

٢ ــ لقد أدى التقدم الغربى فى العلوم والتكنولوجيا إلى الزعم القائل بتفوق الشعوب الغربية على غيرها من الشعوب ، وهذا الزعم قد أدى بدوره إلى استعمال الغرب لمنجزاته العلمية والتكنولوجية فى استعمار الشعوب الضعيفة واستغلال مواردها وثرواتها ، والسيطرة ليس على إمكانياتها الاقتصادية فحسب ، بل وعلى نظمها السياسية والاجتماعية والتربوية ، وتوجيهها

توجيهاً يرضى تعصبه العنصرى من ناحية ، ويخدم مصالحه ومطامعه الاقتصادية من ناحية أخرى .

٣ ــ وقد أدت هذه العنصرية فى العلم إلى احتكار كثير من المعلومات والمكتشفات الهامة فى العلوم والتكنولوجيا ، وقصر المعرفة بها والاستفادة منها على الشعوب الغربية ، ومنعها بكل وسيلة عن الشعوب الضعيفة ، وذلك بهدف إبقاء هذه الشعوب عاجزة عن منافسة الغرب ، ومن ثم دائمة الاعتماد عليه .

٤ ــ وقد أدت السيطرة الاستعمارية على الشعوب الإسلامية بوجه خاص ولا سيما على أجهزة الإعلام والتربية والثقافة إلى توجيه هذه الشعوب الإسلامية توجيهاً لا إسلامياً ولا أخلاقياً ، وهذا التوجيه المخطط يعصف بأخلاق الإسلام وقيمه كما يعصف بتعاليمه وشرائعه ، كما يهدم تراثه وثقافته ، وكل ما يكوِّن شخصية المجتمع المسلم .

٥ ــ أدى الاتجاه المادى فى العلم الحديث إلى شيوع

العلمانية والإلحاد وإلى إنكار وجود الله واليوم الآخر والجزاء والحساب والوحى والروح ، وكل ما يتصل بعالم الغيب من قريب أو بعيد . وأطلق العلمانيون والملاحدة كثيراً من أوصاف السخرية والاستهزاء على العقلية المؤمنة ، مثل وصفها بالعقلية « اللاعلمية » أو العقلية « الغيبية » أو « الرجعية » بينما وصفوا مذاهب الكفر والإلحاد مثل الشيوعية والوجودية بأنها مذاهب « علمية » و « تقدمية » .

٦ ــ أدت هذه المادية العنصرية فى العلم الحديث إلى اشتداد حدة الصراع بين شعوب العالم « ولا سيما بين الشعوب التى أحرزت أكبر تقدم فى العلم والتكنولوجيا » وإلى سباق التسلح بينها ، وإلى كثرة الحروب الحديثة وهولها ، وذلك لتنوع ما يستخدم فيها من أسلحة « علمية » للإبادة الجماعية ، وإهلاك الحرث والنسل ، إلى جانب وسائل أخرى ــ علمية كذلك ! ــ اخترعت لتعذيب الإنسان على يد أخيه الإنسان تعذيباً « علمياً » لم يسبق له مثيل فى الوحشية

والفظاعة

٧ ـ أدت الآلية التى يتصف بها العلم الحديث إلى ضعف الناحية الإنسانية بوجه عام ، وإلى استعباد الإنسان للآلة ، وإلى عجز فى الإبداع الروحى ، وإلى التضحية بحرية الإنسان وكرامته وحقوقه فى كثير من بلاد العالم الذى يصف نفسه بأنه متقدم ومتحضر ... فخوت روح الإنسان الحديث بوجه عام من معانى الخير ، وانطفأ فيها نور الحق ، وغاض معين الرحمة فى قلوب الناس .

مفهوم العلم فى الإسلام :

يتضح مفهوم العلم فى الإسلام بالرجوع إلى القرآن الكريم . ففى القرآن آيات تكاد لا تحصى كثيرة تشير إلى العلم وما يرتبط به من ظواهر . وبين هذه الآيات تشابك وثيق وترابط يؤلف منها وحدة متكاملة ، ومع ذلك يمكن ـ توضيحاً للموضوع ـ تقسيمها إلى ستة أنواع رئيسية كما يلى :

أولاً ــ آيات تدعو بوجه عام إلى تحرير العقل البشرى من كل حاجز يحول دون اكتشاف الحقيقة .

ومن أهم هذه الحواجز التى دعا القرآن إلى إزالتها ما يلى .

١ ــ التقليــد :

لأية سلطة من السلطات ، حتى الآباء والأجداد ، أو سلطة التقاليد والعادات ، ولا سيما فيما يختص بالعقيدة ، وذلك لأن الإيمان ينبغى أن يكون عن فهم واقتناع ، لا عن تقليد أعمى لكائن من كان . وذلك لأن المقلد يلغى عقله وتفكيره ، بل ويلغى شهادة حواسه ، حين يرضخ لحكم غيره وبخاصة إذا كان هذا الحكم قائماً على الجهل لا على العلم . ولذلك يقول الله تعالى فى وصف الكافرين .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ

آبَاءَنَا ۚ أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (المائدة / ٥ / ١٠٤) .

ولهذا السبب نفسه وصفهم القرآن الكريم بأنهم :

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة / ٢ / ١٧١) .

٢ ــ الظـــن :

هناك آيات تدعو إلى التخلي عن الظن ، وذلك لأنه ليس وسيلة موثوقاً بها لمعرفة الحقيقة . ومن هذه الآيات اتهام القرآن للمشركين بأن أكثرهم يتبعون الظن :

﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً ﴾ (يونس / ١٥ / ٣٦) . كما يطالبهم القرآن بتقديم الدليل اليقيني لا الظني على (جبريتهم) أي على اعتقادهم بأن الله أجبرهم على شركهم ، فيقول :

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ ، كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ

مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا . قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۝ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ (الأنعام / ٦ / ١٤٧) .

ويصف القرآن قوماً من الدهرية ينكرون الآخرة بأن إنكارهم يقوم على الظن لا على العلم .

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّون ﴾ . (الجاثية / ٤٥ / ٢٤) .

وينفى القرآن صلب المسيح ويتهم من يقولون بالصلب بأنهم : **﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾** (النساء / ٤ / ١٥٧) .

٣ ــ الهــوى :

نهى القرآن كثيراً عن اتباع الهوى ، وذلك لأسباب عديدة من أهمها أن اتباع الهوى يضل الإنسان عن الحق وعن العلم ، ويكفى أن نقرأ هذه الآيات :

﴿ بَلْ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (الروم : ٣٠ / ٢٩) .

﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ (ص ٣٨ / ٤٦) .

﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَٰوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ (المؤمنون / ٢٣ / ٧١) .

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (النازعات / ٧٩ / ٤) .

ونعى القرآن على المشركين أنهم يتبعون الظن والهوى معاً ويرفضون الهدى : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ (النجم / ٥٣ / ٢٣) .

٤ ـ السحر :

السحر نوع من الشعوذة يحاول بها الساحر أن يؤثر

فى بعض قوانين الطبيعة ولذلك نهى القرآن الكريم عن تعلم السحر ، ونعى على من يتعلمونه لأنهم :

﴿ يَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ (البقرة / ٢ / ١٠٢) .

ولهذا يفشل السحر حيث ينجح الحق والعلم ، فالسحر يقوم على وسائل مصطنعة من باب الكيد ، ولذلك وصف القرآن ما صنع سحرة فرعون بأنه :

﴿ كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ (طه / ٢٠ / ٦٩) .

ومن ثم أنذرهم موسى بأن سحرهم سيفشل وينتصر عليه الحق :

﴿ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾ (يونس / ١٠ / ٨١ / ٨٢) .

٥ ــ المعجزات الحسية :

لعل من أهم الدلائل على اتجاه الإسلام إلى تكريم العقل والعلم أن الله تبارك وتعالى لم يشأ أن يؤيد رسوله ﷺ بتلك المعجزات الحسية التى طالبه الكفار بالإتيان بها فحسب مثل : أن يفجر لهم ينبوعاً ، أو تكون له جنة ذات أنهار ، أو يسقط عليهم السماء ، أو يصعد إليها ويأتى بكتاب يقرأونه ..... وقد أمر الرسول ﷺ أن يرد عليهم رداً يؤكد فيه أنه بشر رسول :

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرَاً رَسُولاً ﴾
(الإسراء / ١٧ / ٩٠ / ٩٣) .

أى أنه ليس من مهمته الإتيان بتلك الخوارق التى لا تدخل فى نطاق رسالته ، ولا ترتبط بوسائلها ولا أهدافها ، فهى رسالة هداية ربانية تكرم عقل الإنسان وتخاطب فكره ووجدانه ، وتدعوه إلى فهم قوانين الكون لا محاولة خرقها .. ولهذا السبب أيضاً استبعد القرآن الكريم من مهمة الرسول الإخبار

بالمستقبل أو ادعاء علم الغيب كما يفعل الكهنة والمنجمون والعرافون إلا ما يريد الله تعالى أن يعرفه إياه :

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام / ٦ / ٥٠) .

٦ ــ الإكــراه :

إن مفهوم « الدين » فى القرآن الكريم ــ كما هو معروف ــ لا ينطبق على العقيدة والعبادة وحدهما ، وإنما ينطبق على الإسلام كنظام شامل متكامل للحياة الإنسانية بجميع جوانبها ومنها الجانب الثقافى والفكرى ، وتدخل فى هذا الجانب العلوم بكل أنواعها .

وإذا فهمنا « الدين » بهذا المعنى الشامل فإن المبدأ الإسلامى العظيم مبدأ ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ ﴾

(البقرة / ٢ / ٢٥٦) لا يقرر حرية العقيدة وحدها ، وإنما يقرر حرية واسعة للإنسان فى أن يختار نظام الحياة الذى يفضله ، ولا شك أن هذا يشمل تقرير حرية الفكر للإنسان ، فإنه لا يمكن أن تتحقق حرية الاختيار بدون حرية التفكير .

وإذا أضفنا إلى هذا أن اعتناق الإسلام نفسه ــ كما سبق ــ لا يقوم على التقليد ، وإنما يقوم على التفكير والاقتناع ، تبين لنا أن الإسلام يعترض ــ بل يشترط ــ الحرية الفكرية بين أتباعه ، ولذلك جعل حياة المؤمنين بجميع مستوياتها السياسية ،والاجتماعية ، والثقافية قائمة على الشورى لا على الدكتاتورية .

﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ** ﴾
(الشورى ٤٢ / ٣٨) .

ولا يكفى من المسلم أن يعتنق الإسلام عن تفكير واقتناع ، بل يطالبه القرآن ــ وقد أتاح له الحرية الفكرية والسياسية والاجتماعية ــ ألا يكف عن أن

يستعمل عقله وتفكيره فى توثيق صلته بربه ، ليس عن طريق العبادة فحسب ، بل وكذلك عن طريق العلم ، أى عن طريق التفكر والنظر فى ملكوت السموات والأرض .

٧ ــ طبقة الكهنة ورجال الدين :

ولأجل أن يؤكد الإسلام هذه الحرية الفكرية والعلمية فقد أزال كل ما يعوق النشاط الفكرى والتقدم العلمى من طريق المؤمن .

ومع أن الإسلام يوصى بأن تكون هناك طائفة من المؤمنين يتفقهون فى أمور دينهم ويعلمونها غيرهم كما جاء ذلك فى سورة التوبة ١٢٢ .

إلا أنه لا يعطى لهذه الطبقة حقوقاً أو امتيازات تجعل منها طبقة اجتماعية أسمى من غيرها ، كما لا يمنحها سلطات دينية أو قانونية تتحكم بها فى تفكير الناس وضمائرهم ، وتحاول أن تفرضها على نشاطهم العلمى

والفكرى ، كى لا تضطهد هذه الطبقة من يخالفها ويخرج عليها من العلماء والمفكرين ، كما فعل رجال الكنيسة مع العلماء فى أوربا فى القرون الوسطى .

ولا شك أن توفر الحرية والأخذ بمبدأ الشورى فى المجتمع الإسلامى فى عصور ازدهاره قد أدى إلى تشجيع الاجتهاد الفكرى والنشاط العلمى بين المسلمين ، وحال دون وقوع أية اضطهادات وحشية كالتى ارتكبها رجال الدين المسيحى ضد العلماءوالمفكرين الأوربيين ، والتى أدت إلى بغض هؤلاء لا لرجال الدين وحدهم بل للدين نفسه ، كما أدت فيما بعد إلى فصل الدين المسيحى عن شئون الدولة وكف يده عن شئون العلم والثقافة . وهذا كله لا ينطبق على الإسلام ولا على تاريخ الإسلام .

٨ ـــ الفســـاد :

هناك آيات كثيرة فى القرآن الكريم تشدد النهى عن الفساد فى الأرض بأية صورة من الصور ، ويقترن ذكر الفساد فى الأرض بأعمال كثيرة منها ما يلى :

أ ــ الإتلاف المادى للحرث والنسل : أى التخريب لمصادر الثروة الإنسانية والزراعية كما ورد فى الآية الكريمة : ﴿ **وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ** ﴾ (البقرة / ٢ / ٢٠٥) .

ب ــ القتل وسفك الدماء : وما يتصل بذلك ويؤدى إليه ولا سيما طغيان الحكام كما ورد فى الآية الكريمة : ﴿ **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ** ﴾ (البقرة : ٢ / ٣) ووصف فرعون بأنه ﴿ **مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ لأنه كان طاغية يسفك الدماء . (القصص / ٢٨ / ٤) .

جـ ــ كل صور الفساد السياسى والخلقى والاجتماعى : كالجور فى الحكم والعلو فى الأرض والإسراف والفسق والظلم (راجع مثلاً آيات الأعراف ٧ / ٥٦ ، هود / ١١ / ٨٥ ، القصص / ٣٨ / ٨٣) .

د ــ الإسراف : ولا سيما فى استهلاك المواد

الغذائية ، وحياة الترف كقوله تعالى : ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ (الأعراف / ٧ / ٣١) وقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ** ﴾ (الشعراء / ٢٦ / ١٥١) .

ويتضح من كل هذه الآيات أن استعمال العلم والتكنولوجيا فى أى عمل من أعمال الفساد فى الأرض (سواء أكان الفساد مادياً أو معنوياً أو خلقياً) محرم فى الإسلام ، لأن كل ما يؤدى إلى الحرام فهو حرام .

ثانياً ــ آيات تدعو إلى التفكير والنظر فى ظواهر الكون والإنسان :

بعد إزالة العوائق السابقة عن طريق النشاط الفكرى والعلمى نجد فى القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو الناس إلى التفكير فيما خلق الله ، وإلى النظر فى الظواهر الكونية والإنسانية ، أى ملاحظاتها ودراستها دراسة علمية ، لا من أجل استكشاف قوانينها واستكناه

أسرارها فحسب ، بل من أجل الاستفادة منها بوجه عام ، والاستفادة من الظواهر الكونية بوجه خاص ، لأنها مسخرة للإنسان (كما سنرى فى النوع الثالث من الآيات) .

ولكن هذه الدراسة العلمية التطبيقية لا تقف عند هذا الحد من هذه الآيات ، بل لها أهداف أخرى أسمى وأعلى من مجرد استكشاف القوانين والاستفادة منها ، ومن أهم هذه الأهداف :

١ ــ أن يؤمن الإنسان بالله إيماناً لا يتزعزع ، وذلك عن ط يق الربط بين نظام الخلق وعظمة الخالق .

٢ ــ أن يعترف الإنسان بنعم الله التى لا تحصى عليه ومن ثم يشكره عليها عن طريق استعمالها فيما خلقت له ، أى عن طريق الأعمال الصالحة .

والظواهر التى تتناولها هذه الآيات ظواهر عديدة ومتشابكة تشابك نظام الكون نفسه ، ومن ثم يصعب الفصل بينها ، ولكن يمكن أن نقول إنها تشمل خمسة

أنواع رئيسية من الظواهر وهى[1] :

أ ـــ ظواهر فلكية : مثل الآيات التى تشير إلى خلق السموات والأرض وما بينهما ، وإلى مراحل هذا الخلق ، وإلى تعدد العوالم ، وإلى طبيعة الأجرام السماوية وتوازنها وإلى الشمس والقمر ومداريهما ، وإلى النجوم والكواكب وجمالها ومنافعها للإنسان .

ب ـــ ظواهر أرضية[2] : مثل الآيات التى تشير إلى خلق الله للأرض وتهيئته إياها لحياة الإنسان عليها ، ولا سيما بإيجاد الأرزاق فيها من حيوان ونبات

---

(١) راجع عن هذه الظواهر بالتفصيل كتاب العالم الفرنسى :

Maurice Bucaille The Bible , the Qur an and Science U - S - a - 1978 , pp - 11c - 210 .

وكتاب الأستاذ الدكتور سيد حسين نصر .

S . H . Naser : Islamic Science , An Illustrated Study . World of Islam Festival Publications , 1976 , Parts 2 - 5 .

(٢) راجع : أحمد عبد الحميد غراب : مفهوم الأرض فى القرآن . محاضرة فى ندوة الدراسات الإسلامية ٦ / ٣ / ١٩٧٨ .

ومعادن ، والآيات التى تشير إلى أهمية الماء على وجه الأرض ، وإلى أنه أصل الحياة عليها ؛ وإلى أثر الجبال بوجه خاص فى استقرار الأرض وتوازنها ، وإلى مسالكها البرية والمائية ، وعلامات الهداية للإنسان فى السفر والترحال فى أنحائها .

جـ ــ ظواهر نباتية : مثل الآيات التى تشير إلى أثر المطر فى الزرع ، وتناسل النبات وتنوع الثمرات ومنافعها وجمالها .

د ــ ظواهر حيوانية : مثل الآيات التى تشير إلى أنواع الحيوانات ومنافعها وجمالها ، وإلى وجود المجتمعات الحيوانية التى تشبه المجتمعات الإنسانية ، وإلى بعض تنظيمات النحل والنمل والطيور .

هـ ــ ظواهر إنسانية : مثل الآيات التى تشير إلى « الأسرة » الإنسانية ، وإلى طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة وإلى تنوع المجتمعات واللغات والألوان والنشاطات الإنسانية وإلى خلق الإنسان بوجه عام ،

وتطور الجنين فى الرحم بوجه خاص .

ثالثاً ـــ آيات تدعو الإنسان إلى الاستفادة من ثروات الأرض وخيراتها .

مثل الآيات التالية : ﴿ **هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً** ﴾ (البقرة / ٢ / ٢٩) .

﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ** ﴾ . (الجاثية / ٤٥ / ١٣) .

﴿ **جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ** ﴾ (الملك / ٦٧ / ١٥) .

﴿ **وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِى الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ** ﴾ (الأعراف ٧ / ١٠) .

﴿ **وَمَنْ يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِى الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيرَاً وَسَعَةٍ** ﴾ (النساء / ١٠٤) .

﴿ **وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ** ﴾ (النحل ٥١٦) .

﴿ **وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِياً**

وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ . (النحل / ١٦ / ١٤) .

وكذلك الآيات التى تحث على الضرب فى الأرض والانتشار فيها ابتغاء فضل الله « مثل : الآيات فى سور العنكبوت ٢٩ / ٥٦ ، والجمعة / ٦٢ / ٢٠ ، والمزمل / ٧٣ / ٢٠) .

٤ــ آيات تدعو إلى تدبر القرآن الكريم والعمل به .

بالإضافة إلى هذه الآيات التى تشير إلى ظواهر الكون والإنسان وتدعو إلى تدبرها ودراستها والاستفادة منها نجد آيات أخرى تدعو إلى تدبر القرآن الكريم ودراسته باعتبار أنه « ظاهرة » ربانية من آثار قدرة الله ، وأن آياته تشبه آيات الكون فى إعجازها من جهة ، وفى ضرورتها لسعادة الإنسان من جهة أخرى . ويكفى أن نشير إلى الآيات التالية : ﴿ **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (البقرة / ٢ / ٢١٩) ﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَذَّكَّرَ**

أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ (ص ٣٨ / ٢٩) ، ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد ٤٧ / ٢) ومن الواضح أن الهدف من تدبر القرآن هو العمل به كما قال تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (الأعراف / ٧ / ٣) .

٥ ــ آيات ترفع من قدر العلم والعلماء :

مثل قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ رَبِّى زِدْنِى عِلْمَاً ﴾ (طه / ٢٠ / ١٢٤) .

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر ٣٩ / ٩ ﴾ .

﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَات ﴾ (المجادلة ٥٨ / ١١) .

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر / ٣٥ / ٢٨) .

﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت / ٢٩ / ٤٣) .

﴿ يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرَاً كَثِيرَاً ﴾ (البقرة / ٢ / ٢٧٩) .

٦ ــ آيات تحذر الإنسان من الغرور بعلمه وعقله وتنبه إلى وجود عالمين : عالم الغيب وعالم الشهادة ، وأن حقائق العالم الأول لا يعلمها إلا الله :

مثل قوله تعالى :

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء / ١٧ / ٨٥) .

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيم ﴾ (يوسف / ١٢ / ٧٦) .

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرَاً مِنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (الروم / ٣٠ / ٧) .

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِى السَّمَوٰاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ

إِلَّا اللَّهُ ﴾ (النمل / ٢٧ / ٦٥) .

من خصائص العلم فى الإسلام :

من دراسة الآيات السابقة بأنواعها الرئيسية الستة يمكن أن نستخلص بعض الخصائص العامة فى الإسلام لمفهوم العلم ومن أهمها ما يلى :

١ ــ يرتبط هذا المفهوم بمفهوم الإنسان وعلاقته بالله وحياته على الأرض : فالإنسان على هذه الأرض خليفة الله وعبده فى آن واحد ، وهو يحيا عليها حياة محدودة إلى أجل مسمى ، ليحقق خلافته وعبوديته لله ، ومن ثم يحقق سعادته فى الدنيا والآخرة .

٢ ــ وقد منح الله الإنسان وسائل عديدة تمكنه ــ إذا استعملها بحكمة ــ أن يحقق هذه السعادة فى الدنيا والآخرة .

ومن أهم هذه الوسائل : العقل والحواس ، فهما من أهم وسائل المعرفة : المعرفة بهذا العالم المادى ، ثم

اتخاذ هذه المعرفة طريقاً إلى معرفة الله . ويرتبط هذان النوعان من المعرفة فى الإسلام ارتباطاً وثيقاً .

فعن طريق دراسة الكون واستكناه أسراره واستكشاف قوانينه واستخدام ثرواته — ينبغى أن تزداد معرفة الإنسان بالله ، ويعظم إيمانه به ، وشكره له على نعمه التى لا تحصى . وهذه النعم تزيد معرفة الإنسان بها واستفادته منها عن طريق العلم .

٣ — وإلى جانب العقل والحواس أعطاه الله الوحى « الذى يتمثل صورته الصادقة والنهائية فى القرآن الكريم » ليرشده إلى طريق السعادة الحقيقية فى الدنيا والآخرة ، وذلك بتعاليم لا يمكن لعقله وحسه وحدهما أن يصلا إليها . ومع هذا فهذه التعاليم تتفق مع العقل السليم والفطرة المستقيمة .

٤ — وفى هذا الوحى نبه الله تبارك وتعالى إلى أن هذا العالم المادى الذى نعيش فيه ليس هو العالم الوحيد الموجود ، فهناك عالم آخر هو عالم الغيب . ومن ثم

طالب القرآن الإنسان إلى جانب الإيمان بالله أن يؤمن بعالم الغيب .

٥ ــ ومع أن حقائق عالم الغيب لا يعلمها إلا الله فقد عرض الوحى منها ما تعد معرفته ضرورية لسعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة وعرضها بصورة واضحة يقبلها كذلك العقل السليم والفطرة المستقيمة ومن أهمها حقائق الآخرة والجزاء والجنة والنار[١] .

ويترتب على هذا المفهوم المتكامل للعلم نتائج هامة منها ما يلى :

١ ــ أن العلم فى الإسلام يربط الإنسان بالله . فالعلم لا يكون علما حقيقيا إلا إذا أدى إلى الإيمان ، والإيمان لا يكون حقيقياً إلا إذا أدى إلى العمل الصالح .

٢ ــ أن العلم بهذا المفهوم يحرص على أن يكون

---

(١) راجع الإمام حسن البنا : بين العقلية الغيبية والعلمية فى رسالته : « دعوتنا فى طور جديد » ضمن مجموعة رسائل الإمام الشهيد ط بيروت ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م ص ٦٥ ــ ٦٨ .

القائم به وهو الإنسان متصفاً بصفات أخلاقية لا غنى عنها ليكون سلاح العلم فى يده سلاحاً نافعاً له ولغيره من الناس . ولهذا نجد كثيراً من علماء المسلمين لا يكتبون فى العلم وحده ، بل يكتبون كذلك عن الأخلاق التى ينبغى أن يتحلى بها العالم . فنجد الكندى يكتب عن الصفات التى ينبغى أن يتحلى بها العالم الفيلسوف « ولا سيما العلم بالحق من أجل العمل به »(١) ، ونجد أبا بكر الرازى يتحدث فى بعض كتبه الطبية والفلسفية العديدة عن الصفات التى ينبغى أن يتحلى بها الطبيب ودارس الطب « فيجب ألا يتخذ الطب مجرد وسيلة لجمع المال ، بل أن يتذكر أن أقرب الناس إلى الله هو : أعلمهم وأعدلهم وأرحمهم وأرأفهم بالناس »(٢) . ونرى البيرونى العالم والجغرافى والمؤرخ

---

(١) راجع « رسائل الكندى الفلسفية » تحقيق د / محمد عبد الهادى أبو ريدة القاهرة ١٩٥٠ جـ ٢ .

(٢) راجع : رسائل فلسفية لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى تحقيق كراوس القاهرة ١٩٣٩ ص ١٠٨ .

العظيم يكتب فى مقدمة كتابه عن الهند : « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة » عن أخلاق المؤرخ(١) ، وكذلك نجد العامرى يتحدث عن أخلاق العلماء فى مختلف فروع العلم(٢)

٣ ــ مفهوم العلم فى الإسلام مفهوم إنسانى ، ليست فيه تلك النزعة العنصرية التى نراها فى العلم الحديث ، فهو يرتبط بالإسلام الذى يؤكد أن الناس سواسية ، ومن حقهم بل من واجبهم أن يشاركوا فى النشاط العلمى ، وفى الاستفادة من منجزات هذا النشاط ، فلا ينبغى أن يحتكر العلم ومنجزاته جنس أو شعب بعينه . وهذا ما فعله المسلمون عندما كانوا السابقين فى مجالات العلوم . فقد شارك فى هذه المجالات علماء من كل الأجناس والشعوب الإسلامية ، ثم لم

---

(١) أبو الريحان البيرونى : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة نشره د / ساخاو لندن ١٨٨٧ المقدمة .

(٢) أبو الحسن العامرى : كتاب الإعلام بمناقب الإسلام تحقيق أحمد عبد الحميد غراب القاهرة ١٩٦٧ ص ٤٠ .

يحتكروا إنجازاتهم العلمية للمسلمين وحدهم ، بل أباحوها وأتاحوا دراستها والانتفاع بها لغير المسلمين ، بل وأعداء المسلمين . ويكفى أن نشير إلى أن المسلمين فى الأندلس قد قدموا للمسيحيين الأوربيين ــ الذين شنوا عليهم الحروب الصليبية ــ كل منجزاتهم العلمية . ومن المعروف أن هذه المنجزات قد ترجمت من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية ، ثم إلى اللغات الأوربية الأخرى ولعبت دوراً فعالاً فى التقدم العلمى فى أوربا .

٤ ــ تترابط العلوم المختلفة فى الإسلام بصلات عديدة وثيقة تجعل منها وحدة متكاملة ، ومن ثم لا نجد فيها ذلك التوتر الحاد الذى نجده اليوم ــ بتأثير الثقافة العربية ــ بين علوم الدين وعلوم الدنيا . فكثير من علمائنا المسلمين قد ألفوا فى علوم الدين والدنيا معاً ، فجمعوا بين دراسة الفلسفة والعلوم المادية والعلوم الدينية ، أى جمعوا بين دراسة آيات القرآن ودراسة آيات الكون . ومن هؤلاء كل فلاسفة الإسلام تقريباً . فنجد الكندى يكتب فى العلوم الرياضية والفلكية

والطبيعية كما يفسر القرآن ، ونجد لتلميذه أبى زيد أحمد ابن سهل البلخى مؤلفات لعبت دوراً رئيسياً فى الجغرافيا وكونت مدرسة جغرافية مشهورة ، كما نجد له مؤلفات فى علوم القرآن . ونجد لابن رشد مؤلفات فى الفلسفة والطب وكذلك فى الفقه الإسلامى والجمع بين الشريعة والحكمة . ولابن النفيس مؤلفات فى الطب والسيرة وعلوم الحديث . ولهذا نستطيع أن نقول أن مؤلفات العلماء المسلمين تمثل بشكل واضح وحدة المعرفة الإنسانية .

٥ ــ هناك صلة وثيقة فى الإسلام بين العلم والعمل ، ولهذا لا تدرس العلوم لذاتها ، وإنما تدرس لهدف الاستفادة منها وتطبيقها فيما ينفع الناس والإسلام لا يشجع التفكير النظرى والتأمل الفلسفى فى أبراج عاجية بعيداً عن المجتمع المسلم ومشاكله ، أو الدخول فى مجادلات بيزنطية ومناظرات ومماحكات لفظية ، لا يترتب عليها عمل نافع ، بل قد تضر أكثر مما تنفع ، ولهذا اتجه علماء المسلمين بكل جهودهم إلى إنشاء

المؤسسات العديدة ـ كل حسب اختصاصه ـ فى أنحاء العالم الإسلامى ، فأنشأوا المستشفيات الثابتة والميدانية والصيدايات والطرق والجسور ووسائل البريد والمراصد الفلكية وصناعة السفن « التى تكون منها أسطول إسلامى قوى وبخاصة فى البحر المتوسط والمحيط الهندى لعب دوراً فعالاً فى الحرب والتجارة » هذا إلى وسائل الرى وخزانات المياه وصناعات الورق والنسيج والمعادن المختلفة .

٦ ـ بهدى القرآن والإسلام كانت معظم الإنجازات العلمية والتكنولوجية للعلماء المسلمين تتحقق فى مجالات سلمية : ومن أهم هذه المجالات كما سبق علوم الطب والجغرافيا وفنون العمارة وصناعة السفن ووسائل الزراعة والتجارة ، فضلاً عن العلوم الإنسانية على اختلافها .

صحيح أن علماء المسلمين قد طوروا أسلحة القتال وفنون الحرب عملاً بقوله تعالى : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ** ﴾ (الأنفال / ٨ / ٦٠) .

ولكنهم ــ فيما أعلم ــ لم يخترعوا سلاحاً أو أسلحة للإبادة الجماعية والتخريب وإهلاك الحرث والنسل وتعذيب الإنسان . وقد التزموا فى الحرب نفسها بالقانون الأخلاقى الإسلامى فى معاملة المحاربين والأسرى . وهذا القانون ليس أعدل القوانين فحسب ، بل هو أكثرها رحمة ورأفة بالأعداء ، ولا يمكن أن يقارن بقوانين الحرب الحديثة ، إذا كانت للحرب الحديثة قوانين .

٧ ــ تطبيق القرآن والإسلام : لم يتجه العلماء المسلمون إلى استعمال العلم فى إنتاج المحرمات والخبائث ، وتشجيع الفواحش والمنكرات . فلم يتجهوا إلى إنشاء مصانع الخمر مثلاً « وهى المصانع التى تتكاثر اليوم فى بلاد المسلمين ، وتمثل مظهراً خبيثاً من مظاهر الغزو الغربى اللاأخلاقى للمسلمين فى عقر دارهم » ، بل ولم يشجعوا استعمال الخمر كدواء فى علاج الأمراض ، ونجد عالماً وطبيباً عظيماً وهو ابن النفيس : « الذى اكتشف الدورة الدموية قبل وليام هارفى » يشير عليه

بعض الناس فى مرض موته أن يتناول شيئاً من الخمر ، فيأبى ويقول : « لا ألقى الله تعالى وفى بطنى شىء من الخمر »[1] .

كما لم يستعمل أطباؤنا المسلمون طبهم فى الإجهاض كما هو شائع اليوم فى الغرب ، وكما بدأ يشيع فى بعض بلاد المسلمين . فالإجهاض لغير ضرورة قصوى ـــ مثل إنقاذ الأم من الموت ـــ ينطوى على قتل الجنين ، أى على قتل النفس التى حرم ﷺ قتلها بغير الحق .

كذلك لم يستعمل العلماء المسلمون علومهم لتشجيع الزنا والفحشاء كما هو حادث اليوم بكل الوسائل ولا سيما وسائل الإعلام ..

ولم يستعمل علماء المال فى الإسلام علمهم لتشجيع الاقتصاد القائم على الربا والاحتكار والاستغلال وامتصاص ثروات الشعوب والأفراد .

(١) راجع د / غليونجى : ابن النفيس سلسلة أعلام العرب ٥٧ القاهرة بلا تاريخ ص ٩٥ ، وعن أثر ابن النفيس فى وليام هارفى راجع ص ظ١٤ ـــ ١٦١ .

رحم الله علماءنا المسلمين

٨ ــ من الخطأ ــ نتيجة لعيوب العلم الحديث التى أشرنا إليها ــ أن نرفض هذا العلم أو نحرمه أو نتخذ منه موقفاً متذبذباً فنقبله فى الواقع ونلعنه بالكلام .. ولكن ينبغى أن نتأكد أن الخطأ ليس خطأ العلم الحديث فى ذاته ، ولكنه خطأ الإنسان الحديث ، الذى يفهم العلم ذلك الفهم المادى ، ويستعمله ذلك الاستعمال المادى . فمن واجبنا نحن المسلمين بدل أن نرفض هذا العلم أو نلعنه أن نصحح مفهومه وتطبيقاته ، ونكمله بمفهوم العلم فى الإسلام وتطبيقاته ، كما سبق شرحه .

٩ ــ من الخطأ كذلك أن نفرض على القرآن الكريم نظريات علمية حديثة بدعوى أنها تؤيد صحة القرآن وأنه وحى من عند الله . فالأمر عندى هو العكس :

إن كل ما فى القرآن حق : سواء اتفق معه العلم الحديث أم لم يتفق .

فالعلم الحديث يحتوى على نظريات متغيرة و قرآن

يحتوى على حقائق ثابتة . فإذا اتفق العلم الحديث مع القرآن (وهذا واقع الآن) فمعنى ذلك — فى رأيى — أن العلم الحديث قد بدأ يسير فى الاتجاه الصحيح وهو الاتجاه القرآنى وليس معناه أن القرآن يسير فى اتجاه العلم الحديث ، فيصح بصحته ويتغير بتغيره ، ويفسد بفساده .

وإذا لم يتفق العلم الحديث مع القرآن « كما فى المعجزات مثلاً » فالقرآن حق ، والعلم الحديث ناقص أو قاصر أو باطل .

ولا يمكن أن يكون الأمر إلا هكذا .

فالعلم الحديث فيه حق نسبى ، وفيه حق وباطل .

وكل ما فى القرآن الكريم هو حق مطلق : ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ (فصلت / ٤ / ٤٢) .

والله ولى التوفيق

صدر من هذه السلسلة

- الدعوة إلى الله « الدعوة الفردية » .
- الإيمان ومتطلباته .
- الآفات العشرون .
- الأخوة فى الله .
- الجريمة فى الشريعة الإسلامية .
- الجهاد فى سبيل الله .
- حياة العقيدة ورجالها .
- ظاهرة الغلو فى التكفير .
- من آداب الإسلام .
- فى التربيـــة .
- الأسرة بين الشرع والقانون .
- الإســلام والعلم .

تعريف بالمركز :

١ - عرض الإسلام ونظامه الشامل الذى لا يتجزأ بأسلوب مبسط .

٢ - بيان حكم الإسلام فى كافة مشكلات البشرية .

٣ - تقديم بحوث ودراسات إسلامية فى كافة المسائل التى تهم العالم .

٤ - توفير المعلومات والأخبار المتعلقة بالعالم كله .

٥ - مواجهة الضلالات الزاحفة والأفكار المستوردة والنظريات المزيفة .

٦ - توجيه النصح إلى كافة المستويات .